Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يجلس فى حلقته إذا صلى الفجر، فيجيئه أهل القرآن فإذا طلعت الشمس: قاموا وجاء أهل الحديث. فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر. فإذا ارتفع الضحى تفرقوا وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر، فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار».

فى هذه الحلقات كان الشافعى أول من تكلم عن «القياس» ضابطًا لقواعده مبينًا أسسه. فقد كان علماء المسلمين قبل الشافعى يتكلمون فى مسائل أصول الفقه ويستدلون ويعترضون، دون أن يكون لهم قانون كلى يرجع إليه فى معرفة دلائل الشريعة وكيفية معارضاتها وترجيحاتها وهنا يستنبط الشافعى، أو يضع علم «أصول الفقه» فى إطار قانون كلى يرجع إليه فى معرفة أدلة الشرع. ولذلك - وكما يقول د. أحمد الشرباصى - كان الشافعى بما جاء به يمثل دور الازدهار الفقهى فى التشريع الإسلامى. وعصر الشافعى - كما يرى الشيخ أبو زهرة - هو عصر الخصب العلمى: بل هو عصر العقل الإسلامى العربى. وبهذا فإن الشافعى - كما يقول الفخر الرازى فى كتابه «مناقب الإمام الشافعى» نسبته إلى علم الأصول، كنسبة أرسطو إلى علم المنطق ونسبة الخليل بن أحمد الفراهيدى إلى «علم العروض».

بمعنى أن الشافعى جاء ليجدد فكر الإسلام وفقهه. وهو فى مجال التجديد، حاول إعطاء الفكر الإسلامى حقيقة وجوده، ونجح فى محاولته بعد جهد جهيد ومشقة شاقة - كما يقولون - من خلال السياحات العلمية فى أرض الإسلام فقد عاش الشافعى فى المدن والعواصم، ودرس وحفظ فكرها وعلمها، وتحاور مع علمائها، واطلع على عاداتها وتقاليدها، وساعده على ذلك أنه كان لديه حافظة غريبة قوية، وذاكرة فولاذية، وملاحظة تقترب من الفراسة.

ولقد مزج الشافعى ما شاهده، وما سمعه، وما درسه، وحفظه - بما فى ذلك فكر المالكية والحنفية - وخرج من ذلك كله بالفقه المنسوب إليه. لكن على أية حال فإن فكره لم يخرج من فراغ، وإلى فراغ، وإنما أعد كوادر من العلماء، كانوا بمثابة الدعاة النابهين. وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل، صاحب المذهب الرابع فى تاريخ المذاهب الإسلامية.